المحاضرة 05
مرحلة المنهجية العلمية
و طرق البحث في العلوم الاجتماعية في ت ت ن ت

مراحل تطور منهجية البحث في التربية المقارنة:

المرحلة الثالثة: (مرحلة المنهجية العلمية)

مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، وبصفة خاصة بعد عام 1950، بدأ التجريب والإحصاء والمعادلات الرياضية المستخدمة في العلوم الطبيعية والبيولوجية والرياضيات في الدخول إلى العلوم الاجتماعية، ويرجع ذلك إلى التطور العلمي والتكنولوجي الحادث في العصر الحديث ولم يظهر المنهج العلمي في الدراسات المقارنة فجأة بل كانت هناك إشارات متفرقة في كتابات القرن التاسع عشر عن احتمال قيام علم منظم للسياسات والنظم التعليمية، والى أهمية فرض الفروض واختبار صحتها، والى جدولة الملاحظات المنظمة والدقيقة المستخدمة في جمعها الاستفتاءات أحيانا بطريقة تسمح بمقارنتها واستخلاص مبادئ وقواعد محددة لتلك النظم والسياسات التعليمية.

وقد اتسمت هذه المرحلة بعدة سمات منها: الإد ارك المتزايد لأهمية وضع الفروض في البحوث التربوية، وفي الاختيار الدقيق للحالات، وفي توجيه العناية لوضع المواصفات للتغيرات، ثم البحث عن تفسيرات كمية للعلاقات بينها، وأخيرا الانتقال من مرحلة الوصف وحب الاستطلاع والجمع غير المقصود عن النظم التعليمية إلى مرحلة الجمع المنظم الذي يمكن الإفادة منه في نظم التعليم والانتقال من اتجاه نحو فهم طبيعة أنظمة التعليم إلى الاهتمام بإيجاد علاقات إنسانية بين الدول بهدف النفع المتبادل

وعملا بمبدأ العلم يتحدد بمنهجه لا بموضوعه، فإن التربية المقارنة لم تقف عند حد الوصف والتفسير والتحليل النظري، بل اتجهت إلى الدراسات الإمبريقية التجريبية مستخدمة في ذلك أدواتها ووسائلها الفعالة وهي مداخل وأساليب المنهاج العلمي المستخدم في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة.

بناء على ما سبق بدأت مرحلة جديدة في التربية المقارنة تسمى مرحلة المنهجية العلمية

والتي تتميز بدراسة التربية المقارنة على أساس منهج علمي واستخدام الأسلوب العلمي ومداخله المتعددة في التربية المقارنة

. ولعل أبرز رواد هذه الفترة:

- **جرورج بيريداي GEORGE BEREDAY**

يتلخص منهج بيريداي في دارسة النظم التعليمية دراسة مسحية تحليلية في إطارين اثنين هما:

الأول:(الدارسة المجالية أو المنطقية) ويقصد بها دراسة منطقة صغيرة بلد واحد وقد تتسع لتشمل قارة بأكملها إذا كانت لديها خصائص مشتركة وذلك في إطار المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والسياسية، وهذا النوع من الدراسة يعتبر من المتطلبات الأولية التي لا غنى عنها للدراسة التحليلية المقارنة، ومهمتها تدريب واعداد

الباحثين في التربية المقارنة من خلال قيامهم بأنشطة متعددة منها جمع واختيار المعلومات، والتسجيل الأولى للانطباعات، وتنمية الإحساس بطبيعة "الاختلافات الثقافية" ، وهذا يتطلب بالطبع إلمام الباحث بلغة المنطقة تحت الدراسة ، والإقامة بالخارج، والقدرة على الملاحظة التي لا تتوقف ، والبعد عن التحيز أو التعصب.

وهذه الدراسات اللامجالية أو المنطقية تسير طبقا لأسلوب بيريداي المنهجي

في خطوتين

هما:

1-: الوصف DESCRIPTION وهي عملية تتم لرصد الواقع التعليمي في دولة واحدة أو أكثر وهي الخطوة الأولى في أي عمل مقارن من وجهة نظر بيريداي، وهي عملية تتطلب القراءة الواسعة في جميع المصادر المتعلقة بالنظام أو النظم التعليمية موضع الدراسة، ثم زيارة المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة، مع تحري الدقة من جانب الباحث في عدم الاكتفاء بزيارة المدارس كعينة ممثلة لجميع أنواع المدارس والمؤسسات التعليمية وعلى اختلاف مستوياتها وبطريقة متأنية ، كما أن هذا يتطلب من الباحث تسجيل كل ما يشاهده بطريقة موضوعية وباستخدام أدوات التسجيل والتوثيق السليمة وهذا يقتضي الخبرة والدراية الواسعة من الباحث في

مجال تحديد وضع المعايير واصدار الأحكام والوصف إذا تم بهذه الطريقة الدقيقة في رأي بيريداي يقود إلى فروض معينة أو تعميمات مؤقتة وغير نهائية

2- التفسير INTERPRETATION : ويعني بيرداي بهذه الخطوة تقييم المادة التربوية للدولة أو لعدة دول موضع الدراسة من حيث القوى الثقافية المؤثرة وخاصة القوى التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والفلسفية وبقية العوامل المتصلة بالخلفية الثقافية لبيئة النظام التعليمي، لان مجرد الوصف في نظر بيرداي ال يؤدي إلى علم مقارن لان الوصف قد يؤدي بالفرد أحيانا إلى سرعة القفز إلى النتيجة دون تعقل كاف ولهذا فإنه من الضروري في ضوء ذلك الاستعانة بالعلوم الأخرى ذات التداخل والتأثير بعلم التربية للمساهمة في التفسير وبيان لماذا يوجد نظام تعليمي معين بالكيفية التي عليها الأن

الثاني (الد ارسات المقارنة) COMPAEISON STUDIES:

تتعلق بعدة دول أو مناطق في نفس الوقت، وهي استكمال للخطوتين السابقتين في الدراسات المجالية، اي مرحلة الوصف أو كما يسميها بيرداي "جغرافية التعليم" وتعتمد على جمع معلومات تربوية خالصة، ثم مرحلة التفسير والإجابة على السؤال الخاص بفلسفة الحياة في منطقة بعينها من حيث جوانبها السياسية والتاريخية والاقتصادية

والجغرافية والإجتماعية...الخ.

ومن ثم يضيف بيريداي خطوتين آخرتين في حالة دراسة أكثر من بلدين أو منطقتين هما:

3- الموازنة والمناظرةJUSCTAPOSITION

الهدف من هذه الخطوة هو توضيح أوجه التشابه والاختلاف بين المادة العلمية التي جمعت عن دول المقارنة، وقد سبق أن مرت عبر مرحلتي الوصف والتفسير السابقتين، ولتنفيذ هذه الخطوة لا بد من وضع معايير أو محكات يتم في ضوئها عمل هذه الموازنات والمناظرات بين دول المقارنة ومع ظهور المادة العلمية الواضحة في جداولها

الر أسية أو الأفقية، وفي ضوء هذه المعايير وفي ضوء الفروض الأولية والتعميمات المبدئية التي توصل إليها الباحث في الخطوة الأولى (الوصف) فإنه يمكن الوصول إلى هذه الخطوة الثالثة إلى فروض علمية وأساسية يتم في ضوئها التحليل أو المقارنة الأولية كما يسميها بيريداي.

وعلى هذا الأساس تبدو المناظرة ببساطة عملية ترتيب للمادة العلمية واعدادها للمقارنة وبهذا نضع أساس واسع للمقارنة كالمقارنة بين دولتين ليست بينهما عناصر وقوى ثقافية مشتركة وانما يشتركان في بعض الجوانب العامة، أي مقابلة عناصر نظامين تعليميين أو مشكلتين تعليميتين والعوامل المؤثرة فيهما عن طريق وضع بعضهما بجوار بعض بغية تحديد نقاط التشابه والاختلاف بينهما استناد إلى المعايير أو مؤشرات معينة للمقارنة

4- المقارنة:

وهذه الخطوة تبدأ في التحقق من مدى واقعية وعلمية الفروض التي يتم اشتقاقها و لاتفاق عليها في مرحلتي الوصف والموازنات أو المناظرات والوصول بها إلى تحقيق الأهداف المرجوة من البحث والتحليل المقارن، وذلك من خلال التقابل بين المادة العلمية المطروحة في الدول المقارنة وتنقسم هذه الخطوة إلى مرحلتين متكاملتين

وهما :

المقارنة المطردة: وهي عملية الانتقال من دولة لأخرى في جانب من جوانب المقارنة ثم العودة مرة أخرى لتناول جانب آخر، خاصة في الجوانب التي يمكن جدولتها مثل الإحصاءات.

المقارنة التصريرية: وتعتمد على عقد المقارنة بشكل عشوائي خاصة عندما يصعب إجراء المقارنة المطردة، ويمكن عقد مقارنات مطردة كلما سمحت المادة العلمية بذلك.

وبفضل استخدام الطريقة المطردة في المقارنة لأنها تؤدي في النهاية إلى نتائج عامة، والوصول إلى حلول بديلة مشتقة من الحلول المطروحة على مستوى الدول المختلفة وفي ضوء الإمكانيات المتاحة للمخططين وواضعي السياسات التربوية.

ويمثل (بيريداي) باتباعه هذا المنهاج حسرا يربط بين فترتين من فترات التطور في التربية المقارنة، فترة القوى والعوامل التي تأكدت فيها أهمية تفسير المعلومات في ضوء القوى والعوامل التاريخية والثقافية، وفترة المنهجية العلمية التي تهتم بالبحث عن اتجاه علمي تجريبي للدراسات التربوية المقارنة، ويرى أن دارسي التربية المقارنة يجب أن يتوافر لديهم ثالث أمور هي:

1- معرفة لغة المنطق التي يدرسونها، ويمكن الاستعانة عن ذلك بمترجم أو كتب مترجمة.

2- الإقامة في المنطقة موضوع الدراسة وربما يمكن الاستعاضة عن ذلك بتوافر من مواد مكتوبة .

3- الملاحظة المستمرة للنظام حتى يمكن التحكم في التميز الثقافي، أي أن الباحث لابد أن يتسم بالحياد والموضوعية في ملاحظاته

- **مساهمة بر ايان هولمز المنهجية BRIAN HOLMES**

قدم هولمز منهج المشكلة في التربية المقارنة للدراسة في(التربية المقارنة)، ويرى أن هناك ضعفا في منهاج الاستعارة الثقافية من النظم الأخرى ويؤمن بأن المنهاج التاريخي وان كانت له قيمة في تفسير الظواهر إلا أن قيمته محدودة في التنبؤ، ويعتقد أن العلم والفلسفة يرتبطان ارتباطا وثيقا حيث أنهما يستهدفان للتوصل إلى القوانين التي تفسر الظواهر واكتشاف القوانين المتحكمة في البيئة الاجتماعية والأساس النظري الذي يبني عليه مدخل المشكلة في الدراسات التربوية المقارنة هو أسلوب البحث العلمي أو طريقة حل المشكلة أو التفسير التأملي كما يحدثنا عنه الفيلسوف التربوي جون ديوي،

فالمشكلة عند جون ديوي هي موقف مبهم محير والحل عنده هو وضوح الموقف أو إزالة الحيرة، ويتضمن هذا التفكير عددا من العمليات العقلية التي اعتمد عليها جون ديوي والخاصة بطريقة التحليل النقدي في حل المشكلات أو مواجهة المواقف المحيرة أو الغامضة ويتضمن هذا التحليل ما يلي:

- إدراك الموقف المحير أو تحديد المشكلة.
- فرض الفروض أو الحلول المقترحة.
- تعقل المشكلة أو تحليلها.
- تحليل وتحديد المحتوى.
- الاستنتاج المنطقي من الفروض السابقة لأقربها واقعية وعلمية.
- التحقق العملي من صدق الفرض.

ويتضح من خطوات التفكير العلمي أو التأملي أو ما يمكننا تسميته التفكير الافتراضي أن هولمز يؤكد على عنصرين أساسيين لحل المشكلة علميا هما:

- أنه من الضروري التعرف على المشكلة وتحديدها بدقة وتحليلها واكتشاف العوامل المؤثرة فيها وذلك بتجميع المعطيات والبيانات ثم فرزها وأبعاد الثانوية وترك ما هو أساسي وهام لتتضح المشكلة بأبعادها والمؤثرات الهامة فيها عن قياس صدق الفرضية هو القدرة على التنبؤ بنتائج يمكن مشاهدتها فعليا ، فالفرضية تكون صادقة عندما تفسر الظاهرة أو تحل المشكلة و يمكن مشاهدة النتائج المتوقعة منها ، وأن هذه النتائج تتفق بالفعل

مع النتائج المستنبطة من الفرضية.

ووفقا لهذين الأساسيين فإن مدخل المشكلة يتطلب أن تمر الدراسة التربوية المقارنة بعدد من المراحل أو الخطوات تمثل كل أو بعض خطوات التفكير العلمي ويلخصها هولمز كما يلي:

- اختيار المشكلة وتحليلها.
- صياغة الفرضيات أو مقترحات السياسة.
- تحديد العوامل ذات العلاقة
- التنبؤ بنتائج السياسات.

و مما سبق نستطيع القول أن مرحلة المنهجية هي مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ علم التربية المقارنة، لأنه بفضلها تزايد الإدراك بأهمية وضع الفروض في البحوث التربوية وفي الاختيار الدقيق للحالات، وفي توجيه العناية بوضع المواصفات للمتغيرات ثم البحث عن تفسيرات كمية للعلاقات بينها، وأخيرا الانتقال من مرحلة الوصف وحب الاستطلاع والجمع غير المقصود عن النظم التعليمية إلى مرحلة الجمع المنظم الذي يمكن الاستفادة منه في نظم التعليم والانتقال من اتجاه نحو فهم طبيعة أنظمة التعليم إلى الاهتمام بإيجاد علاقات إنسانية بين الدول بهدف النفع المتبادل

.